ثقافة

المكتبة الوطنيّة "ذاكرة الوطن" النابضة بالثقافة وثائق نادرة وكتب قديمة والتطلّع إلى الرقمنة

في قلب بيروت، وتحديدا في منطقة الصنائع، تقف المكتبة الوطنية اللبنانية شاهدا على ذاكرة وطن وثقافة شعب. هي ليست مجرد مبنى جميل الطراز، بل فضاء معرفي وتاريخي يجسد الطموح لإحياء دور لبنان كمركز فكري وحضاري في المنطقة. هي من دون شك حاضنة لذاكرة جماعية شبه منسية

المديرة التنفيذية للمكتبة الوطنية جلنار عطوي سعد.

تأسست المكتبة الوطنية في اوائل القرن العشرين، لكنها عانت مثل كل مؤسسات الدولة من الاهمال والتدمير، خصوصا خلال الحرب الاهلية، كما تعرضت مجموعاتها الثمينة من كتب ومخطوطات وارشيف للتلف والضياع. اعيد افتتاحها رسميا عام 2018 في مبناها الجديد في الصنائع، بعد مشروع ترميم وتوسيع المبنى بهبة قطرية. لكن خطواتها تعثرت بعد اشهر من افتتاحها بسبب الازمة الاقتصادية وجائحة كورونا، ومن ثم تعرضها الى اضرار من جراء انفجار مرفأ بيروت في 4 آب 2020.

تتلمس المكتبة اليوم بدايات الهدوء بعد ان اعيد افتتاحها في اواخر عام 2022 وهي تشكل مركزا ثقافيا عصريا بمواصفات عالمية. تضم كتبا وصحفا ومجلات قديمة ووثائق نادرة.

"الامن العام" التقت المديرة التنفيذية للمكتبة الوطنية جلنار عطوي سعد.

> **في المكتبة الوطنية نشاطات ثقافية والدعوات عمومية**

■ بماذا تتميز المكتبة الوطنية في الصنائع؟

□ في كل بلد في العالم مكتبة وطنية واحدة تكون مهمتها حفظ التراث الفكري الوطني واتاحته مجانا للناس. المكتبة الوطنية في لبنان ليست حديثة وهي من اقدم المكتبات الوطنية في العالم العربي. تم تأسيسها رسميا عام 1921 وهي كانت قد بدأت عام 1919 مع الفيكونت فيليب دي طرازي الذي كان يهوى جمع الكتب. كان مقرها في مبنى البرلمان في وسط بيروت حتى عام 1975 مع اندلاع الحرب الاهلية، فأقفلت المكتبة لصعوبة ارتيادها في تلك الفترة ووضعت مجموعاتها في صناديق كرتون، بعضها فقد او احترق او سرق نتيجة الحرب. انتقلت هذه الصناديق من مكان الى آخر مرات حتى عام 2000 حين بدأنا العمل على مشروع تأهيل المكتبة الوطنية في عهد الوزير غسان سلامة عندما كان وزيرا للثقافة وذلك بتمويل من الاتحاد الاوروبي والدولة اللبنانية. عملنا على صناديق المجموعة القديمة للمكتبة الوطنية، فقد تم فرز ما تبقى منها وقمنا بجردة الكترونية قبل ان نقوم بترميمها. عام 2003 بدأ العمل بالمشروع، وكان المركز الموقت في المرفأ لأننا كنا نحتاج الى مساحات واسعة. فقرر مجلس الوزراء اعطاء مبنى كلية الحقوق في الصنائع الى المكتبة الوطنية، ومن ثم تلقينا هبة قطرية لتوسيع وترميم المبنى المعد للمكتبة الوطنية. فعملنا على تأهيل المجموعات والعمل العلمي والتقني، وتأهيل المكان. افتتحنا المكتبة في كانون الاول 2018 بعد الانتهاء من تأهيل المبنى. ثم نقلنا مجموعات المكتبة وما تم اقتناؤه في الفترة التي كنا نعمل فيها على المشروع الى المبنى الجديد.

■ ماذا يتضمن مبنى المكتبة؟

□ المكتبة الوطنية ليست كالمكتبات العامة، كونها تحفظ التراث الذي يصبح جزءا من ممتلكات الدولة واتاحته للناس. لا توجد هذه المجموعات على الرفوف امام الناس للاطلاع عليها، بل تحفظ في مخازن وتتاح للجمهور على الطلب من دون اعارتها كونها من ضمن التراث الفكري. يتم في المكتبة الوطنية، كما في اي بلد، الايداع القانوني لكل الانتاج الفكري الصادر فيه او ما يكتب عن البلد او ما كتبه ابن البلد واتاحته مجانا الى الناس. لذا، على دور النشر ارسال نسختين الى المكتبة الوطنية من كل ما تصدره في كل عام، ووظيفة المكتبة القيام بالبيبلوغرافيا الوطنية سنويا. يوجد في المكتبة الوطنية مخازن لـ3 طوابق تحت الارض، اعدت وفق الخطة لاستقبال الاصدارات على امتداد 20 عاما. يتضمن المبنى مكاتب للشأنين العلمي والتقني، وقاعة المطالعة العامة التي يزورها الناس ويجدون فيها ما يريدونه. كما ان للمكتبة مهمتين اساسيتين: حافظة للتراث الفكري ومركز ثقافي بموقعها الكائن في بيروت، لذلك نعمل على اجندة ثقافية متكاملة كمركز ثقافي يتوجه الى كل القطاعات. لدى وزير الثقافة غسان سلامة رغبة في اعطاء دفع للمكتبة، من خلال العمل على برامج ثقافية متنوعة لجذب الناس اليها، خصوصا بعدما تراجعت في العالم كله ثقافة ارتياد المكتبات. ان مهمتنا الاساسية في ان نجعل من هذا المكان مركز اشعاع ثقافي من خلال وضع برمجة ثقافية في مختلف القطاعات، اي ندوات وحفلات موسيقية، بما يليق باسم المكتبة الوطنية، اضافة الى عروض مسرحية وسينمائية وحوارات نستضيف خلالها شخصيات لها دورها المميز في المحافل الدولية. على سبيل المثال، استضفنا منذ فترة وزير الخارجية الاسباني السابق، مبعوث الامم المتحدة ميغل انخل موراتينوس في حوار في المكتبة، كما استضفنا وزيرة الثقافة الفرنسية اللبنانية الاصل ريما عبد الملك. ننظم احيانا حوارات او ورش عمل عن موضوع التراث والحفاظ عليه. كما نظمنا معارض استذكارا لمناسبة معينة كذكرى الحرب الاهلية. كل هذه الامور تدفع الناس الى ارتياد المكتبة واكتشافها والمشاركة في النشاطات.

■ كيف تتم المحافظة على الكتب التراثية؟

□ كل الكتب القديمة والجديدة موجودة في المخازن المؤهلة والمعدة وفق المعايير المتبعة عالميا للحفاظ على المجموعات بدرجات حرارة معينة. من المؤكد ان هناك صعوبات في الحفاظ عليها كتأمين الكهرباء بشكل مستمر، ورغم ذلك وضعت الكتب في اماكنها وعلى الرفوف المعدة لها. عندما نقول الحفاظ على التراث ◄

المقال

القوّة الناعمة

قوة الاعلام تفوق في كثير من الاحيان قوة السلاح، باعتباره "قوة ناعمة" قادرة على اختراق وعي الناس وتكييفه بما يخدم الاهداف المتوخاة.

لقد ادرك مؤسسو الحركة الصهيونية دور الاعلام منذ ثيودور هرتزل الذي كان صحافيا نمساويا يهوديا، نظم المؤتمر الصهيوني الاول في بازل في سويسرا في آب عام 1897. قبل المؤتمر، تفرغ هرتزل للكتابة والترويج لمشروع اقامة دولة لليهود عبر وسائل الاعلام، واصدر كتابا بعنوان "دولة اليهود: محاولة لحل عصري للمسألة اليهودية"، واسس صحيفة اسبوعية للحركة الصهيونية هي "دي وولت". كتب هرتزل في افتتاحية العدد الاول منها في 3 حزيران من عام 1897 ان "على هذه الصحيفة ان تتحول درعا حامية للشعب اليهودي، وتكون سلاحا ضد اعدائه".

بسبب قدرته الاعلامية والصحافية، استطاع هرتزل ان يجمع الجاليات اليهودية من دول عدة لعقد المؤتمر الصهيوني الاول، وان يتوصل الى اقرار الهدف الصهيوني في "اقامة وطن قومي لليهود في فلسطين".

وقال ديفيد بن غوريون، اول رئيس وزراء للاحتلال: "لقد اقام الاعلام دولتنا على الخارطة، واستطاع ان يتحرك للحصول على شرعيتها الدولية، وتكريس جدارة وجودها، قبل ان تصبح حقيقة واقعة على الارض". كما أعلن بعد توليه منصبه، تأسيس "هيئة رؤساء تحرير الصحف"، وهي الهيئة التي تشير كثير من الدراسات الى انها كانت تتبع بشكل او بآخر لجهاز الموساد الاسرائيلي، الذي تحكم بشكل كبير في المعلومات التي يجب ان تنشر اولا.

وقد سخرت الحركة الصهيونية المال في تأسيس مؤسسات اعلامية للترويج للفكرة الصهيونية لكسب الرأي العام اليهودي والعالمي لتحقيق أهدافها، واستطاعت السيطرة على معظم وسائل الاعلام في العالم لتتبنى وجهة النظر الاسرائيلية وتنبري للدفاع عنها. واسست الصحف الناطقة باللغة العبرية، ومنها لا يزال مستمرا لغاية اليوم وهي صحيفة هآرتس التي صدرت عام 1919، ويديعوت احرونوت التي صدرت عام 1939، وصحيفة معاريف التي صدرت عام 1948.

امام ادراك الحركة الصهيونية لدور الاعلام، تحولت آلة القتل الاسرائيلية لاغتيال الصحافيين والصحافيات من دون تمييز في حربها اليوم على لبنان وغزة، وذلك لقتل الشهود وترويع الاخرين منهم، بعد ان شكلت الصورة والخبر المنقول من ارض المعركة، المستند الذي يدين اسرائيل ويكشف عن زيف ادعاءات "الدفاع عن النفس".

في مقابل الادراك الاسرائيلي لأهمية الاعلام منذ تأسيس الكيان، اين هو الاعلام العربي من المجازر التي يرتكبها الاحتلال الاسرائيلي في لبنان وغزة؟

نراه اليوم يتأرجح يمينا ويسارا منفصما عن ذاته، متبنيا مقاربات متباينة تعكس فجوة كبيرة في التعاطي الاعلامي العربي، في انعكاس واضح للمواقف السياسية للدول العربية تجاه الحرب في لبنان وغزة. فقد باتت المعايير المزدوجة سيدة التغطية في الاعلام التقليدي، مشرعة الابواب لمجموعات الواتساب الاخبارية كميدان الاعلام الحربي في لبنان.

ميرنا الشدياق

◄ الفكري ليس فقط المجموعة القديمة النادرة، بل نحن نتحدث عن كل ما يصدر في لبنان، كل ما كتبه لبناني وكل ما كتب عن لبنان. نولي اهتماما بالكتب التراثية التي كانت في حالة صعبة ونضعها في صناديق لحفظها، طبعا مع مراعاة المعايير المتبعة. تلقينا وعودا بهبات عينية لرقمنة مجموعات المكتبة الوطنية. من المؤكد ان هذا المشروع سيأخذ وقتا، لكننا نعمل على ذلك للمحافظة على المجموعة القديمة المطلوبة من الناس، لكن لا تتم اتاحتها حاليا من اجل المحافظة عليها. بالتالي، ان اتاحتها للناس لن تتحقق الا اذا قمنا برقمنتها. بإذن الله سنضع قريبا الخطوات الاولى للبدء بهذا المشروع.

■ ما هي اقدم الوثائق الموجودة في المكتبة؟

□ مجموعة المكتبة قديمة وقيمة، تتضمن 300 ألف وثيقة، أي كتاب ودورية ومجلة وخارطة. كما تضم وثائق نادرة وغير موجودة في اي مكان. علما ان غنى مجموعة المكتبة تتمثل بمجموعة الدوريات والصحف اللبنانية والعربية التي كانت تصدر في لبنان الذي كان يعيش في الفترة الماضية عصر نهضة الصحافة.

■ هل ثمة موازنة مرصودة للصيانة الدورية، وهل تكفي؟

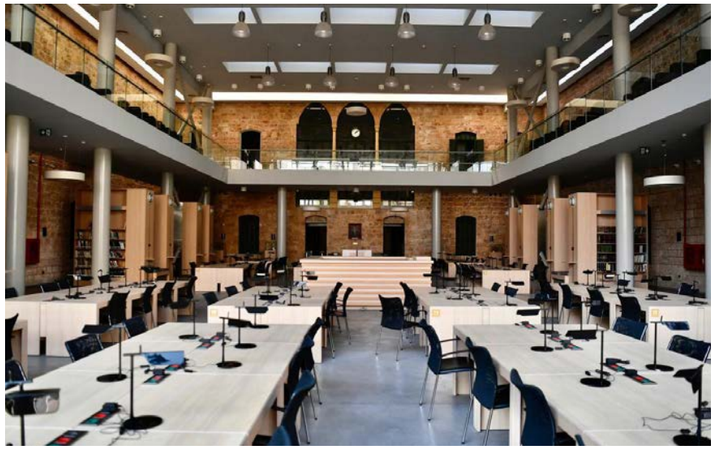

□ تكاد لا تكفي الموازنة المرصودة من الدولة سواء لصيانة المكان او المجموعات، وذلك بسبب الوضع الاقتصادي. لذلك لا نعتمد فقط على تلك الموازنة، بل نحن في بحث دائم عن موارد تمويل عينية تمكننا من المحافظة على المكان والمجموعات. نتطلع اليوم الى مشاريع كالرقمنة، وننتظر تمويلا عينيا خارجيا.

■ هل هناك من رسم معين للدخول الى المكتبة الوطنية؟

□ وظيفة المكتبة الاساسية هي اتاحة كل شيء مجانا من دون اي رسم اشتراك. يستطيع الزائر ارتياد المكتبة ضمن الدوام الرسمي، تحديدا الى قاعة المطالعة حيث يمكنه القراءة او الدرس او العمل على الكمبيوتر في جو هادئ، من دون طلب اي اذن للدخول. تفتح قاعة المطالعة من الثامنة صباحا حتى الثانية بعد الظهر.

■ هل توافقون على طلبات استضافة نشاطات ثقافية؟

□ اتخذنا قرارا بعدم اتاحة هذا الامر، لأن المكتبة هي مركز ثقافي ومكتبة وطنية حيث نضع برنامجا يمتد على مدار العام بالتعاون مع جهات اخرى. في معظم النشاطات تمتلىء القاعات، كما توجه الدعوات الى الجميع وننشرها على مواقع التواصل الاجتماعي التابعة لوزارة الثقافة والمكتبة، ونتعاون مع مواقع لنشر هذه الدعوات على صفحاتها.

مختارات

1- الكتب المقدسة باللسان العربي مع النسخة اللاتينية العامة المطبوعة بأمر المجمع المقدس المتوكل على انتشار الايمان المسيحي لمنفعة الكنائس الشرقية، روما: المجمع المقدس 1671. الكتاب مترجم عن الفولغاتا اللاتينية، وكان بين العاملين على نصه العربي رهبان لبنانيون بينهم ابراهيم الحاقلاني وسركيس الرزي.

2- القران الكريم، (بيروت): المطبعة العثمانية، 1304هـ 1886.

3- حديقة الورد / نظم وردة اليازجي، بيروت 1867 (صيدا: المطبعة المخلصية).

4- كتاب مرزبان نامه / ترجمة الشيخ العلامة اقضى القضاة شهاب الدين احمد بن محمد بن عرب شاه. (القاهرة: مطبعة الحجر، 1278هـ).

5- ديوان ابي الطيب المتنبي / من كتب الفقير اليه تعالى جرجس صفا، 20 تشرين الأول 1898. هذا الكتاب هو مخطوط بالحبر الاسود مع عناوين بالحبر الاحمر.

6- الياذة هوميروس: معربة نظما وعليها شرح تاريخي ادبي، وهي مصدرة بمقدمة في هوميروس وشعره وآداب اليونان والعرب ومذيله بمعجم عام وفهارس: بقلم سليمان البستاني، القاهرة: مطبعة الهلال، 1904.

7- خزائن الكتب العربية في الخافقين / بقلم الفيكنت فيليب دي طرازي. هذه مخطوطة المؤلف الاصلية، مع بعض الصفحات المطبوعة على الالة الكاتبة. كتبت قبل العام 1947.

8- كتاب دائرة المعارف: قاموس عام لكل فن ومطلب تأليف بطرس البستاني - بيروت: 1876 - 1900.

9- كتاب الساق على الساق في ما هو الفرياق، او ايام وشهور واعوام في عجم العرب والاعجام / تأليف فارس بن يوسف الشدياق.

ننظم نشاطات ثقافية متخصصة موجهة الى فئات معينة. لكل نشاط جمهوره، لكن معظم هذه النشاطات تكون مفتوحة امام العموم.

■ هل تلاحظون اليوم اقبالا على المكتبة؟

□ يتفاوت الاقبال، لكن اود ان اشير الى ان النشاطات التي ننظمها ساهمت الى حد ما في التعريف اكثر الى المكتبة. نلاحظ مثلا في فترة الامتحانات ارتياد الطلاب للمكتبة بشكل ملحوظ، فيما البعض يأتي من اجل العمل في جو هادئ.

■ ما هي الصعوبات التي تواجهونها، وما هي المشاريع التطويرية؟

□ ترتبط الصعوبات بالواقع الاقتصادي مما يعيق عملنا احيانا لتنفيذ ما يواكب طموحاتنا وتطلعاتنا التي تكون احيانا بسيطة، الا انها تحتاج الى دعم مادي، مما يدفعنا الى التفتيش عن مصادر خارجية للدعم. ترتبط الرقمنة بأمور عدة كمشاريع رقمنة المجموعة القديمة للحفاظ عليها، واستكمال عملية ترميم الوثائق الموجودة في المكتبة، وتنمية المجموعة الحالية باقتناء وثائق لا تصلنا بالإيداع القانوني من خلال مجموعات نحتاجها في المكتبة. كل ذلك من اجل تقديم الخدمات للباحثين الذين يحتاجون الى المجموعة التي تملكها المكتبة. نحن في طور تطوير وتأهيل كل هذه التقنيات. يضاف الى ذلك، البرنامج الثقافي الذي يندرج في خانة الاهمية نفسها للتطوير العلمي في المكتبة.

■ ما هو المطلوب لتطوير هذه المكتبة وتفعيل عملها؟

□ القطاع الثقافي هو قطاع يعكس الصورة الحضارية للبلد الذي يمكن الاستثمار فيه، وهو قطاع منتج ينعكس انتاجه على كل البلد. ان الاستثمار في المكتبة او في غيرها من القطاع الثقافي، ينعكس على صورة الدولة الجاذبة للناس والاستثمارات بصورة حضارية. ان الوعي لأهمية الثقافة يجذب الناس وبالتالي الاستثمارات.

■ بماذا تتوجهين الى الشباب البعيد نوعا ما عن الكتاب؟

□ يتميز لبنان بثقافته وتميزه من الناحية الثقافية، من خلال الاشعاعات التي يتركها اللبنانيون الذين اطلقوا في العالم مبادرات ثقافية لا جدال حولها. لذلك اقول ان المكتبة الوطنية تفتح ابوابها لكل الجمهور بكل شرائحه العمرية واختلاف اهتماماته وتنوعه، من صغار السن الى الكبار. يجد الجميع لدينا ما يريدونه، ان في مجال القراءة من خلال تنوع المجموعات او المشاركة في النشاطات. هدفنا التنوع سواء بمجموعاتنا او نشاطاتنا، لجذب جميع الناس من اجل ارتياد المكتبة الوطنية لتجد فيها ما ترغب به. هي ليست فقط مكتبة للقراءة بل هي ايضا مركز ثقافي حيوي ينبض حياة وثقافة.

م. ش .